ذوو الاحتياجات التربوية الخاصة «بين التنمية والتنحية»

بادىء ذى بدء لابد أن نشير إلى أنه لم يعد ذوو الاحتياجات التربوية الخاصة مجرد مجموعة من الأفراد المهمشين اجتماعياً الذين ينظر إليهم باعتبارهم عاجزين عن أداء أدوارهم المختلفة فى الحياة والمشاركة الإيجابية فى متطلبات التنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية. فقد تغيرت هذه النظرة السلبية والسطحية والقاصرة وحلت محلها فلسفة بناءة وإيجابية تدعو إلى نبذ المفاهيم التقليدية القديمة القائمة على تأكيد فكرة العجز والإغراق فى التشاؤم، واستبدالها بمفاهيم جديدة تتسم بالعمق وبعد النظر بحيث يقوم هؤلاء الأفراد بأدوارهم داخل المنظومة التربوية والاجتماعية، وأن تستمر قدراتهم الكامنة ليصبحوا قادرين على المشاركة الفعالة فى مختلف مجالات الحياة، وبذلك يتحقق لهم التوافق النفسى والاجتماعى من جانب، والاستثمار البشرى من جانب آخر، ولعلنا يجب أن نقرر أن أهم استثمار فى بنى البشر هو استثمار المخ البشرى وتكامل وظائفه، الأمر الذى من شأنه تحقيق تقدم الأمم والمشاركة فى دفع عجلة التنمية المستدامة.

وتنادى التربية الحديثة اليوم بحق كل فرد فى الانتفاع بالخدمات التربوية التى تساعده على النمو والوصول إلى أقصى مدى تؤهله له إمكاناته، ومن ثم بدأ الاهتمام بالعناية بفئات الأفراد ذوى الاحتياجات التربوية الخاصة. لذلك كانت مهمة التربية الخاصة أدق وأعمق، وتتطلب جهوداً تربوية ضخمة تتناسب وقدرات هؤلاء الأفراد.

ويبدو أن نظرة المجتمع لذوى الاحتياجات الخاصة تتغير إلى الأفضل ولكن بشكل بطىء، حيث مازال كثير من الناس ينظرون إلى هذه الفئات نظرة عطف وشفقة تدل على أنهم أقل من غيرهم من الأفراد الأسوياء ظاهرياً، وهناك أقلية تنظر إليهم نظرة أكثر سلبية ويعتقدون أن هذه الفئات غير قادرة على التعلم والاندماج فى المجتمع.

وقد أثرت تلك النظرات على كثير من أفراد هذه الفئات للأسف وهزت مستوى ثقتهم بأنفسهم جزاء تلقيهم لكثير من الرسائل السلبية التى يسمعونها بآذانهم، أو يرونها بأعينهم فى نظرات الناس، أو يلمسونها فى طريقة التعامل معهم والأسوأ من ذلك - فى نظرى - هو أن بعض ذوى الاحتياجات الخاصة يستغلون مثل تلك النظرات استغلالاً خاطئاً فيحاولون استجداء تعاطف الآخرين نحوهم لتيسير أمور يتساوون فيها مع الآخرين، بل إن بعضها لا علاقة لها باحتياجاتهم الخاصة من بعيد ولا من قريب. ومثال ذلك فى مجتمعنا الجامعى أن يطلب بعض ذوى الاحتياجات الخاصة من أساتذتهم بعض أعضاء هيئة التدريس تخفيف المتطلبات الدراسية عنهم بسبب الإعاقة، ويحاول الآخرون التهرب من الأبحاث والمشاريع بحجة عدم القدرة على القيام بها لنفس السبب، علماً بأنهم يستطيعون عمل ذلك عند بذل الجهد العقلى والبدنى اللازمين لتلك المتطلبات . وهناك أمثلة أخرى ومتعددة أيضاً ولكن لايتسع المجال لذكرها، وهى لبعض ذوى الاحتياجات الخاصة ولكن يجب أن نشير هنا إلى أنه ليس جميعهم بتلك الصورة بلاشك.

وفى الحقيقة إن مصطلح «ذوى الاحتياجات التربوية الخاصة» هو تعبير حضارى راق وهو بديل ذو دلالة إيجابية لكلمة «المعاقين» الشائعة بين عامة الناس والتى تحمل دلالات سلبية وتوحى بعدم القدرة على عمل أشياء كثيرة. وأعتقد أننا يجب علينا جميعاً أن نغير استخدامنا لكلمة «المعاقين» ونستبدلها بمصطلح «ذوى الاحتياجات التربوية الخاصة» ونعامل أفراد هذه الفئات على أنهم قادرون على العمل والتعلم طالما أنهم يمتلكون القدرات التى تؤهلهم لهذا العمل وهذا التعلم، ويجب أن ندرك كذلك أنهم كغيرهم من الأفراد إلا أنهم يحتاجون إلى وسائل وطرق خاصة (مثل الكرسى المتحرك، العصا، لغة الإشارة، وغيرها) لمساعدتهم على القيام بمهامهم. ومتى توفرت لهم تلك الوسائل والطرق لايكون أمامهم أى عائق إلا عوائق نفسية متمثلة فى ضعف الهمة والإرادة. وهناك أمثلة كثيرة لذوى الاحتياجات الخاصة تغلبوا على كل المعوقات بشجاعة وصبر ومثابرة ونجحوا فى حياتهم الخاصة والعامة بل إنهم تفوقوا على غيرهم من العاديين.

ويشتمل حقل التربية الخاصة على فئات ومجموعات متعددة تحتاج إلى خدمات مميزة سواء فى فترات معينة من الحياة أو طوال الحياة، وذلك كى يتعلموا ويتدربوا ويتفاعلوا مع المجتمع من حولهم ويتوافقوا مع متطلبات حياتهم الشخصية والأسرية والتعليمية، ويصبح لهم دور مشارك وفعال فى متطلبات التنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية، وذلك تبعاً لمستوى الإمكانات النفسية والصحية والجسمية بدرجة سلامة الحواس المتاحة لهم، وباختلاف أسلوب التربية الخاصة وبرامجها ووسائلها تبعاً لتباين احتياجات الأفراد ذوى الاحتياجات التربوية الخاصة.

ويفضل كاتب هذه السطور أن نستخدم مصطلح ذوى الاحتياجات التربوية الخاصة، لأنه الأقل حكماً والأوسع مجالا والألطف معنى والأقل تجريحاً، فهذا المصطلح قد يتضمن فى طياته ما ينطبق على أى واحد منا، لأننا جميعاً نحتاج إلى طرق ووسائل خاصة أو مختلفة للتعلم.

التربية الخاصة وتربية ذوى الاحتياجات التربوية الخاصة:

إن المفهوم الرائد «التربية الخاصة» الذى يقع على كل لسان، وبخاصة فى الوسط التربوى، أصبح اليوم من المصطلحات التى يفضل استبدالها بمصطلح «ذوى الاحتياجات التربوية الخاصة». حيث إن التربية الخاصة تفهم على أنها تربية معزولة للأفراد الذين يعانون من تأخر تربوى بسبب إعاقات واضحة، سواء كانت إعاقات عقلية أو بدنية، فى مؤسسات مغلقة كمصحات أو مدارس خاصة، أى خارج التعليم العادى. أما المصطلح الجديد أو المستحدث، فإنه يضم

فى طياته مجموعة أكبر من الأفراد الذين يعانون من تأخر تربوى لأسباب تتعدى الإعاقات الشائعة، وهذه الأسباب على ما يبدو تمنع تطور الفرد الطبيعى. وهذه المجموعة (ذوو الاحتياجات التربوية الخاصة) تحتاج إلى دعم من المدرسة التى عليها تبنى منهجية تربوية جديدة تساعد فى التعامل مع الاحتياجات التربوية للمتعلمين، سواء فى مجال القوى العاملة أو التجهيزات التقنية.

وعلى هذا يمكننا تعريف التربية الخاصة بأنها «مجموعة من البرامج التربوية المتخصصة والأساليب المنظمة التى تقدم للمتعلمين ذوى الاحتياجات التربوية الخاصة، بهدف مساعدتهم فى تنمية قدراتهم إلى أقصى مستوى ممكن، وجلبهم للتكيف العام وتحقيق الذات»، وتهدف التربية الخاصة كمجال إلى التعرف على الطلاب من خلال أدوات القياس والتشخيص المناسبة وإعداد البرامج التربوية والتعليمية المناسبة، مصحوبة بالوسائل التعليمية التى تساعد على التأهيل والتطور.

تعريف الأفراد ذوى الاحتياجات التربوية الخاصة:

هناك الكثير من المصطلحات التربوية الدارجة فى المجتمعات المختلفة التي يقصد من ورائها تحديد فئات الأفراد ذوى الاحتياجات التربوية الخاصة، ومن هذه المصطلحات (التى لا أوافق على استعمالها) مصطلح «غير العاديين»، و«العاجزين» و«المعوقين» و«غير الأسوياء».. وغيرها من التسميات السلبية التى لاتعكس إلا الآثار السلبية على الفرد وأسرته، لأنها فى مكنونها تدل على الضعف والاختلاف السلبى، والأبرز من ذلك الوصمة الاجتماعية بالقصور والعجز، بدل البحث عن الإيجابيات والكفاءة فى شخصياتهم. وما لانصل إليه من هذه التسميات السلبية هو تحديد المشكلة التربوية، وبالتالى تحديد الاحتياجات التربوية التى يحتاجها هؤلاء الأفراد.

ويرى كاتب هذا المقال أن الأفراد ذوو الاحتياجات التربوية الخاصة هم «أولئك الذين يبعدون عن الفرد المتوسط بعداً واضحاً سواء فى قدراتهم العقلية أو التعليمية أو الابتكارية، بحيث يترتب على ذلك حاجتهم إلى نوع من الخدمات والرعاية التربوية لتمكينهم من تحقيق أقصى ماتسمح به قدراتهم».

ونلاحظ استخدام كلمة يبعدون عن الفرد المتوسط، لأن بعض فئاتهم مثل مرتفعى الذكاء ومرتفعى التحصيل والمتفوقين عقلياً والموهوبين يزيدون عن المتوسط فى القدرات التى حددت أعلاه.

وإذا ما نظرنا إلى هذا التعريف فسنرى بأنه يستثنى فئات أخرى من ذوى الاحتياجات التربوية الخاصة، وهى الفئات التى لا تعانى من أى قصور فى القدرات المذكورة أعلاه، ولكن على الرغم من ذلك، فهى تعانى من صعوبات فى التأقلم المدرسى والحياتى، ومن هذه الفئات سنجد الموهوبين والمتفوقين عقلياً وذوى صعوبات التعلم.

فئات ذوى الاحتياجات التربوية الخاصة:

سأقف الآن عند فئات ذوى الاحتياجات التربوية الخاصة التى تتحدث عنها غالبية المرجعيات الأدبية التى تعتمد على المدرسة السيكوتربوية، وهذه الفئات تشتمل على : الإعاقة العقلية، صعوبات التعلم، التأخر الدراسى، بطء التعليم، التوحد (الأوتيزم)، الإعاقة السمعية، الإعاقة البصرية، الإعاقة البدنية، الاضطرابات الانفعالية والسلوكية، اضطرابات النطق والكلام واللغة، التفوق والموهبة.

١. صعوبات التعلم:

يعرف كاتب هذه السطور صعوبات التعلم بأنها«مصطلح يشير إلى مجموعة غير متجانسة من الأفراد فى الفصل الدارسى العادى ذوى ذكاء متوسط أو فوق المتوسط، يظهرون تباعداً واضحاً بين أدائهم المتوقع وبين أدائهم الفعلى فى مجال أو أكثر من المجالات الأكاديمية، وربما ترجع الصعوبة لديهم إلى سيطرة وظائف أحد نصفى المخ الكرويين على الآخر، كما أن هؤلاء الأفراد لايعانون من مشكلات حسية سواء كانت (سمعية أم بصرية أم حركية)، وإنهم ليسوا متخلفين عقلياً ولا يعانون من حرمان بيئى سواء كان (ثقافياً أم أقتصادياً أم تعليمياً) وأيضاً لايعانون من اضطرابات انفعالية حادة أو اعتلال صحى»

وأكدت كثير من الدراسات والبحوث على أن صعوبات التعلم قد تحدث فى فترة الحمل نتيجة تعرض الأم للأمراض والأشعة والسموم، أو أثناء الولادة نتيجة نقص الأوكسجين أو مشاكل فى الولادة، أو بعد الولادة وفى مراحل الحياة نتيجة التعرض إلى حادث أو أمراض تصيب الجهاز العصبى المركزى للفرد.

وتنقسم صعوبات التعلم إلى نوعين أساسيين أولها: الصعوبات النمائية، وتتضمن صعوبات الانتباه، الإدراك ، الذاكرة، التفكير، حل المشكلات، وصعوبات اللغة الشفهية، وثانيها الصعوبات الأكاديمية وتتضمن صعوبات القراءة، الكتابة، الرياضيات، وصعوبات تعلم العلوم.

ومابهم فى تعريف صعوبات التعلم هو الانتباه إلى أن الفرد الذى يعانى منها هو فرد عادى فى قدراته العقلية، لا يعانى من مشاكل فى الحواس، ولا يعانى من اضطرابات انفعالية شديدة، وغير محروم من المثيرات التعليمية فى المنزل أو فى حجرة الدراسة، وعلى الرغم من ذلك، فإنه يفشل فى واحد أو أكثر من المهارات الأكاديمية المطلوبة من أبناء جيله (أقرانه).

٢. التأخر الدراسى:

التأخر الدراسى كما يدل عليه الاصطلاح هو تدنى التحصيل عن المتوسط مما قد يترتب عليه الرسوب فى بعض السنوات. كما يمكن ملاحظة التأخر الدراسى مع ظهور نتائج الاختبارات الفصلية حيث تتضح المواد التى رسب فيها بعض الطلاب، وقد يكون رسوب الطالب متكرراً فى مقررات معينة أو يحدث فى مقررات متنوعة ، كما قد يكون رسوب من سنة لأخرى بمعنى تكرار هذا الرسوب فى سنوات مختلفة، وقد يكون حادثاً لأول مرة. وتنقسم أسباب التأخر الدراسى إلى نوعين أولهما أسباب داخلية ومنها(الأمراض والإعاقات والاضطرابات الحسية ـ وكذلك القدرات العقلية ـ قلق الاختبارات ـ مشكلات (انفعالية ـ نقص الانتباه). وثانيها أسباب خارجية وهى عديدة ومنها ظروف طارئة مثل مرض الطالب أوأحداث فى أسرته ـ عادات الاستذكار ـ موقف داخل المدرسة مثل مجموعة الأصدقاء ـ طرق التدريس غير الملائمة ـ صعوبة الامتحانات ـ الظروف الأسرية مثل أسلوب معاملة الوالدين.

وبعد معرفتنا لأسباب التأخر الدراسى يمكننا وضع تعريف للتأخر الدراسى ينص على أنه :«مصطلح يعنى أن عجلة الإنجاز

بقلم:

د. سليمان عبد الواحد سيف

عضو الجمعية الدولية للتربية الخاصة

فى المواد الدراسية تعانى من وجود بعض المشكلات التى تؤخر التلميذ عن مسايرة محطات الانتقال من فرقة دراسية إلى أخرى، ويحدث التأخر الدراسى نتيجة لوجود أسباب متعددة من بينها وجود صعوبات التعلم أى أن التأخر الدراسى مظهر من مظاهر صعوبات التعلم».

٣. بطء التعلم :

بطء التعلم هو عبارة عن انخفاض واضح فى تحصيل التلميذ الدراسى فى جميع المهارات الأكاديمية الأساسية.

وهناك مجموعة من القواسم المشتركة لهؤلاء الأفراد منها (انخفاض فى القدرات العقلية لكن لاتصل إلى الإعاقة العقلية ـ لايستطيع هؤلاء الطلاب مجاراة متطلبات المدرسة العادية يقعون بين فئة الأسوياء والمتخلفين عقلياً يجدون صعوبة فى المناهج العادية ولاتصلح لهم برامج المعاقين عقليا ـ يمكن التعرف عليهم عن طريق التحصيل الدراسى.

ويرجع بطء التعلم للعديد من الأسباب منها(ضعف التذكر البصرى ـ عدم القدرة على التمييز ـ انخفاض الذكاء عن المتوسط).

وبناء على ماسبق يعرف كاتب هذه السطور الفرد بطىء التعلم بأنه «هو ذلك الفرد الذى يكون معدل التعلم لديه أقل من معدل تعلم أقرانه، أى يكون بطيئاً فى اكتساب المهارات الدراسية أو المعرفية، ويكون ذلك بطبيعة الحال نتيجة لوجود انخفاض طفيف فى نسبة الذكاء لديه، حيث تنحصر نسبة ذكائه بين (٧٥ ـ ٩٠) درجة».